

خمسة كتب جديدة عن بيت الشعر الفلسطيني

1- طهارة الصمت للمتوكل طه

صدر حديثاً خمسة كتب عن دار الزاهرة للنشر والتوزيع (بيت الشعر الفلسطيني) ليصبح عدد إصدارات بيت الشعر حالياً 56 كتاباً ضمن سلسلة النشر التي يعكف (البيت) على استمراريتها. تتوزع على خارطة الإبداع بتنوعها وغناها الثقافي والمعرفي .

«طهارة الصمت» الكتاب السابع عشر للشاعر المتوكل طه في 130 صفحة من القطع المتوسط، صمّمت الغلاف ريماني، يتمحور الكتاب حول الكتابة وهموم الثقافة ويتضمن عدداً من الدراسات والمقالات الطويلة والأبحاث تناولت بداية طقوس ولادة القصيدة، حيث يشير الكاتب إلى «استدراج الخارج عن طريق إخراج الداخل» في حالة من الجدل والاندغام الكتابي، موضحاً أن الشعر ما هو إلا كلام خاص يقوله «خاصة»، متناولاً كيفية ولادة القصيدة ومصدر الكتابة الشعرية وأولية الفيض الشعوري على الورق. . ميلاد القصيدة والإلهام وشيطان الشعر ثالثاً يتفكك بتفصيلاته في ثنايا الدراسة. . ويؤكد الشاعر وجود عمليات واعية في الشعر وحالات فيزيائية ملازمة لاجتراح الفعل الشعري .

الدراسة توزعت بين اثني عشر مقطعاً حول طقوس ولادة النص الشعري تناول فيها الشاعر تجربته بصدق وشفافية واضحة .

الدراسة التالية بعنوان: «المؤرخون الجدد في إسرائيل»، حيث يدير الشاعر جدلاً وحواراً حول ظاهرة المؤرخين الجدد التي باتت تثير الكثير من الجدل في الأوساط المحلية والعربية، ويتساءل الشاعر: «لماذا علينا أن نحتفل هذا الاحتفال لمجرد أن باحثاً إسرائيلياً ما اعترف على استحياء أو بشجاعة بمجازر وفظائع جماعته تجاهنا؟»، ويشير الشاعر إلى ضرورة أن نفيد من هذه الظاهرة كونها تخلخل بشكل ما الأوهام القومية والتاريخية وحتى الدينية التي تبني إسرائيل نفسها عليها، رغم عدم نسفها الأساس الأيديولوجي الصهيوني ذاته، كما يشير الشاعر، ويوضح كذلك أن ظهور المؤرخ الجديد تعبير عن أزمة وليس تعبيراً عن صحوة ضمير، حيث ما زالت هذه الظاهرة نبتة .

أما «عن الهوية / أرى في النقيض نقيضاً» فقد حاول الشاعر المتوكل طه تفكيك مفهوم (الهوية) فاستبطن مكنوناته

ليخلص في النهاية «قد يكون من العجيب - وهذا رأيي على الأقل - أن تعريف الذات - في حالتنا الفلسطينية - لا يرى في الآخر / النقيض مكملاً بقدر ما يراه نقيضاً يجب الحذر منه والتشكك فيه» .

أما دراسته «الحماية من صمت الهزيمة ولا وعيها / مثقفون» . . صورة عن «هناك» فيفضح الشاعر الأفكار التي تُستورد ويعاد استزراعها «هنا» في سياق تقليد وهوس بـ «الآخر»، حيث تبدو «الذات» مستلبة ومأخوذة بما يرمج لها من نظريات ومفاهيم لا تخدم سوى منتجها ومصدريها، ويشير الشاعر إلى أفلام الكرتون التي تقدم «البطل الغربي والحياة الغربية» سلوكاً وأمطاً، لينشأ الطفل العربي على بطولة «روبن هود» و«إيفنهو» و«بوبي»، بدلاً من التعريف بأبطال العرب والمسلمين (من العصور الوسطى).

ويوضح الشاعر ضرورة تحصين الذات مما تقوله أصداء «هناك»، هؤلاء الموجودون «هنا» .

أما «مع دخول الألفية الثالثة / الشعر!! أشياء قديمة لا تزول» فيتساءل الشاعر عن مصدر الشعر في هذه الألفية أمام زحف التكنولوجيا والتقنيات الحديثة والعولمة والصناعات المتطورة .

أما مقالة في «الذكرى الخمسين للنكبة / إسرائيل - فلسطين خطان لا يلتقيان» فيوضح فيها حالة الاستلاب التي تعرضت لها فلسطين من قبل الغزاة ، وحالة المقاومة التي أبقت جذوة الصمود مشتعلة حتى انتفاضتنا الراهنة ، كذلك يفضح الشاعر موضوعة التطبيع ولقاءات رودس والهرولة والتبعية للنقيض الذي ما زال يلهث وراء سراب احتلاي خادع . كما يشير إلى «أسئلة استنكارية برسم بيانات المثقفين» بعد التفجيرات الأخيرة في نيويورك .

مبيناً المطلوب من المثقف الفلسطيني والعربي في تصليب الجبهة الثقافية والوطنية والاصرار على المواجهة والتحدي .

أحد عشر مقالاً ودراسة وبحثاً اشتمل عليها «طهارة الصمت» في تقديم صورة عن اختلاجات الروح وقلقها الكتابي .

2- عبد الله عيسى في «قيامه الأسوار»

الشاعر الفلسطيني عبد الله عيسى (المقيم في موسكو) أصدر مجموعته الشعرية الجديدة «قيامه الأسوار» ، صمم الغلاف الفنان جمال الأفغاني ، يقع الكتاب في 159 صفحة من القطع المتوسط ، «قيامه الأسوار» ؛ الكلمة ، الروح القدس ، الأزلية - توتر ثلاثة أضلاع في مثلث روح الشاعر ، تشتد حيناً وتمتد أحياناً . . تمتاز المجموعة بتشكيل بصري واضح حيث تتوزع الكلمات والجمل الشعرية بطريقة بصرية لافتة ، الإهداء جاء : «لأجلك ، إلى الأحياء عند ربهم يرزقون ، وأيضاً من ينتظر مثلي» .

كما جاء تصدير المجموعة باقتباسين «يا أولاد الأفاعي من أراكم تهربوا من الغضب الآتي» إنجيل لوقا الإصحاح الثالث .

والثاني «إلهي ، إلهي ، لماذا تركتني» يسوع ، حيث تتكئ المجموعة على الكتاب المقدس ، والتناص الديني الإسلامي كذلك ، والقرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، تظهر لغة الشاعر خاصة ومتميزة ، غنائية صافية واتكاء واضح على السردية ، ومنجز قصيدة النثر . . الغربية والمنفى تحتلان مساحة واسعة في المجموعة الشعرية ، وما كتبه الشاعر غسان زقطان على الغلاف الأخير للمجموعة :

«يتوالى الهدم والبناء وتتوالى استعدادات منتزعة من سياقات تتجاوز ويعاد تشكيلها فيما يشبه رغبة الطائر في الانطلاق .

طيور أرضية بأجنحة قاسية ترف وتصطفق وفي المشهد ما يشي بالطيران .
مثل حبات مسبحة من نوى الزيتون والبلح يجمع عبد الله عيسى مفرداته وصوره وحنينه ومنفاه ، مقتنياته وأملكه ونيته العنيدة في التواصل مع مكان استثنائي لم تطأه قدماه ، وبحذر طائر ليلي مبصر يتتبع ظلال الآخرين في الممرات والأحواش ومنحدرات التلال حيث تتعثر الخيول والصيحات .
في «قيامه الأسوار» يواصل عبد الله عيسى الفلسطيني المقيم في روسيا تجربته الخاصة والمختلفة التي بدأها في منتصف الثمانينيات في دمشق» .
وبصدور هذه المجموعة يواصل «بيت الشعر» الفلسطيني تقديم فكرته ، وتكريس مشروعه كنقطة مفتوحة ومتماسكة تتلاقى فيها التجربة الفلسطينية بتعددتها وغناها واقتراحاتها الجمالية المختلفة .

3- عادل الأسطة - أرض القصيدة

د . عادل الأسطة ، محاضر الأدب العربي بجامعة النجاح أصدر دراسة نقدية بعنوان «أرض القصيدة» ، عن جدارية محمود درويش وصلتها بأشعاره . وقد جاء الكتاب في 191 صفحة من القطع المتوسط ، صممت الغلاف نغم الحلواني . في تصديره للكتاب أشار المؤلف إلى دراسته الجدارية لمدة شهرين حيث أعاد قراءة أشعار الشاعر أيضاً ، فكتب إحدى عشرة مقالة تشكل فيما بينها دراسة شبه متكاملة تمعن النظر في نص الجدارية الذي أنجزه محمود درويش العام 1999 ومما جاء في التصدير :

«وأنا ، وإن كنت أنجزت هذا الكتاب في شهرين ، إلا أن صلتي بأشعار درويش تعود إلى ثلاثين عاماً خلت ، وهي صلة ليست عابرة ، فقد أنجزت من قبل ، العديد من الدراسات المحكمة والمقالات الصحفية ، حتى أنني أفكر بكتابة مقالة نثرية عنوانها : «أنا ومحمود درويش : ثلاثون عاماً من احتلال الشاعر لقارئه» ، ذلك ، أن ما من شاعر احتلت أشعاره عقلي وفرضت نفسها علي مثل أشعار درويش ، وربما يشاركه هذا الأمر الشاعر العراقي مظفر النواب ، وإن بدرجة أقل ، وذلك لتدريسي نصوص درويش أكثر من تدريسي لنصوص النواب» .
وقد تضمن الكتاب المقالات التالية : وقفة على العتبة ، هل يكرّر محمود درويش نفسه؟ ، الطفولة : لم أكن ولداً سعيداً ، وظيفة الشعر والشاعر ، لعبة الضمائر : تعدد الأصوات وتداخلها ، السلالة ، النص الديني في «جدارية» ، الموت ، هاجس اللغة ولغة المجاز ، لو أن الأنبياء أقل إلحاحاً ؛ ليختتم الكاتب بمقالة / من أين تأتي الشاعرية؟
المقالات والأبحاث التي يكتبها المؤلف عادة ما يوظفها في دروسه الأكاديمية ليفيد منها الطلبة وتساهم في رفد العملية التعليمية .

4- بشير شلش في «سماوات واطئة»

«سماوات واطئة» ، جديد الشاعر بشير شلش والذي يقع في 104 صفحات من القطع المتوسط ، الغلاف لريما

منى، الإيروتيكا جليّة في الديوان، والأثنى تقطف قلب الشاعر حيث يغدو رأسه مأوى عصافير الخريف، ودمه ماء الأسماك المتحفزة . . ويحلم الشاعر عبر قصائده بنهايات سعيدة في خياله الذهني، ويبدو أن تحقيق النهايات الفرحة لا يتم، كيف لا ومعزوفات خيالية ترافق نوم الشاعر وتحنو عليه، هذا مبتغى حلم الشاعر، فالوجع الذاتي يكشف مخبوء الذات، في قصيدته «برية تتنفس الصعداء»:

«عالية ومضيئة كانت الأرض
حين ولدت في رحمها كفراشة رعوية
تخلق إلى زهرة الضوء
بقوة موتها» .

هذا الطيران وهذه الإضاءة محمولة على قوة الموت، الولادة والموت توأما السؤال البشري، منذ البدء وحتى الأبد .

الصورة الشعرية لافتة ومشعة في قصائد الديوان، الوحدة والاغتراب حالة تلبست الشاعر وأقلقتة تماماً . فالليل يصعد السلم، ويقفز فوق الوسائد، ربما نتحدث هنا عن نوم أسود، لأن البرد في القلب والأنامل يصعد . في «مسرح عبثي»: «ضوء على كل شيء لا ظلال لنرى» في النهارات والوضوح يبدو الشاعر أعمى، في العتمة / الظلمة يبدو عرافاً، رائياً، تغمض العتمة عينه فيرى .

المرأة هي المخلص للشاعر، وهي مفرجة عزلته ومنقذته من ضلال الغربية ووجع الأيام الصعبة، فهذا يحتاج لامرأة يهرب بها من عيون المارة إلى غرفة صغيرة في بيته الصغير .

«الأعالي»، والقفز لما فوق والتحليق بعيداً عن الأرض، كل ذلك يتكرّر في غير قصيدة، في القصيدة التي تحمل عنوان الديوان نقرأ «ألمس بطن السماء بيدي»، تبدو السماء قريبة أو هو قريب منها، في قصيدة «طقوس» يقول: «السموات الواطئة تعلم الحكمة» فاقترابه من الأعالي سعياً وراء الحكمة .

ويسير الشاعر الذي طالما فكر بالمشي ليلاً على رصيف جميل يخفق، يبرق العتمة خلفه ونضوي يدها الجهات القليلة، يعترف الشاعر بهذا الهاجس، هاجس الوحدة، والسير وحيداً غير أبه بالعالم وبالأشياء . ويعود الشاعر للحلم في قصيدة «تجربة في الموت»:

«إنني أحلم دائماً
أن أغرق في الحبر حتى العدم
أو؛
أن أبلل ملابسي بالألوان
وأنا في ظهيرة صامتة» .

الحلم والمرأة يتكشfan كحل لتجربة الشاعر وأسئلته المحلقة، يفرد الشاعر أوراقه الخاصة، مشاويره، آثار نسائه، دروبه المطرية، موسيقاه، تجربته في الموت، مواجهة النافذة، هواياته، حفلته التنكرية، أحلامه المكسورة التخفق في الريح، نهاره السوربالي، تجربته في الحب، المسرح العبثي، السمكة الذهبية في شتاء داكن، طقوسه، وبذلك

تكتمل المجموعة الشعرية بهذه القصائد، وبهذا الفيض الشعوري الدافق والحرائقي يبحث الشاعر عن تفاصيله ومقتنياته الخاصة فوق الغيم، وفي جدائل النساء .
ومثلما يسبح الشاعر في سماواته الواطئة فإنه يسبح في الأعماق ليفتح أصداف الروح، لتبدو الأفكار أكثر عمقاً وشفافية .

5- وليد اليهودي - مدفن الأحياء

كما صدر كتاب حمل عنوان «مدفن الأحياء - شهادات من المعتقل» للأسير في باسيتلات الاحتلال الصهيوني وليد اليهودي . . يقع الكتاب في (134) صفحة من القطع المتوسط . صممت الغلاف نغم الحلواني . حيث استهل الكاتب بما يلي :

«مرضى على وشك الرحيل، أجساد وأرواح تعنصر أماً في مستشفى الرملة - فلسطين» .
وفي المقدمة يتناول المؤلف أوضاع المعتقلين والمرضى الذي يفك بهم فيقول : «تلاشت آهات يوسف العرعيد المكبوتة . . . لم تجد طريقها إلى نخوة المعتصم ولا إلى نخوة أبي جهل . . انضم إلى الركب ورحل بصمت . . .
شهداء قُتلوا بدم بارد على أسرة المرض في سجون الاحتلال . . . عبد القادر أبو الفحم، عمر القاسم، يحيى الناطور، حسين عبيدات، معزوز دلال، رياض عدوان، والركب طويل . . . وإذا كان هناك من ينتظر الانضمام وينطوي على لهيب معاناته، فلا أقل من أن نقصّ عليكم قسماً يسيراً من هذه المعاناة . . . صحيح أن صفحات الجرائد كثيراً ما شهدت ذكرهم، ولكن الجديد الآن هو ندخل إلى عالمهم، ونشاركهم خلجات قلوبهم، ونتفياً ظلال أرواحهم . . . لن نثقل عليكم، سنعودهم بصحبتكم، ففي عيادة المريض أجر ومن السنة أن تكون عيادة المريض قصيرة . . .» .

اثنا عشر شهادة مألحة وجارحة، كاوية تنزّ منها أفانين الوجع وطرائق الموت المعلن . . حيث آلة الاحتلال تبعد ما استحدث من صنوف التعذيب . المرض يتسلل إلى فراش المعتقلين، ويتسلق للأجساد الغضة الطرية، ويهشم طاقة الروح . . عيادة السجن صورة أخرى للزنازين . . معتقلون فلسطينيون وعرب يقبعون وراء القضبان، محمد أبوهدوان، عمر الخطيب، ياسر المؤذن، جمعة إسماعيل، علي شلالدة، نضال أبو عليا، فتحي زقوت، علي عياش البياتي، علاء الدين البازيان، ربحي هرشة، جلال رمّانة، ووليد اليهودي .
أسرى الحرب العربية - الصهيونية فوق أرض فلسطين، هم موضوع كتاب ولدي اليهودي . الذي عاش التجربة العنيدة تلك، فقدّمها مثل رسالة قادمة من المدفن .

أعمار يقصفها الاحتلال يوماً بعد يوم، يحوّل العدو السجنون إلى مدافن حقيقية تغيب في دهاليز الحياة التي ما فتى الاحتلال ينهبها وينهبها .

أكثر من مانديلا ما زال رنين القيود في أيديهم، والعمّة توزع سوادها على المكان . . ظلال في زوايا الزنازين تخرج أشباحها ونذرهما القيامية . . توحى بغبش تنكاثر دوائره وتتسع كشبكة عنكبوت .
أخبار الأهل التي تترنح عبر الهاتف . . الدموع التي تثقب جدران الصمت والسكون . . الحنين إلى الخارج والعيش أسوة بباقي عباد الله . . كل ذلك وغيره يحدث هنا على أرض فلسطين . . أيام قاسية وصعبة تلك التي

تمرّ على هؤلاء الأبطال وهم يصفون ملحمة الفداء كلّ يوم، ويسطّرون في سفر البطولة أروع الأمثال .
«في هذا الكتاب يقرّر اليهودي الذهاب إلى تلك المناطق السريّة مع المشروع الصهيوني، النقاط العميقة الممتلئة بالدلالات والإشارات المذهلة في الشهادات التي سجّلت بين دفتيّ الكتاب يأخذنا اليهودي من أيدينا ويهبط بنا درجات العتمة نحو مصائر وحيوات أخوة كدنا أن ننساهم هناك في الاعتقال الذي يبدو مثل مدفن الأحياء كما هو بالفعل، سيّسع المشهد ويذهب إلى منابعه واسمه وكلامه» .
مناضلون من دول عربية مختلفة، ناضلوا إلى جانبنا، وحملوا حلمنا/ حلمهم . . وغير بعيد عن كلّ هذا . . تبدو حداثات القبور في مقبرة المجهولين . . حيث ترقد أجساد أخوتهم الذين اختلطت أسماءهم ومصائرهم على الأرض الفلسطينية .
من حقّ هؤلاء البواسل أن نضاء تجاربهم وتعمّم وتعلو في الآفاق . . من حقّهم علينا أن نلتفت إلى نسيانهم اللاذع، وإلى تجاهل الإعلام لما يدور في (إكساتهم) وخيامهم التي تشعلها رمال الهجير وقمع السجّان .
ومن واجبنا أن نقول للعالم أجمع أن هنا على أرض فلسطين ما زال آلاف المعتقلين يعانون مرارة العيش . . وسيط الجلاذ تركت على أجسادهم خريطة الوطن وهمومه .
مدفن الأحياء تسجيل حيّ وواقعي لوقائع المعتقلين في السجون الصهيونية .

مراد السوداني